الدكتور إلياس فرح

أطروحات

حول العمل الجبهوي



منشورات الطليعة
تونس 1988

العمل الجبهوي مطلب قطري ملح

التجربة العربية خلال السنوات الاخيرة ، ينبوع لدروس وعبر تتحدى قوى الثورة في الوطن العربي ، وتضعها وجها لوجه أمام مصيرها : تبشر بآمال منعشة جديدة ، أو تنذر باستمرار النكسات والتقهقر في العمل القومي الاشتراكي الهادف لبعث الامة العربية •

على الصعيد الفكري ، دخلت التجربة العربية بعد الحرب العالمية الثانية مرحلة التركيز والتبلور داخل اطار شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية ، وأصبح للامة العربية ايديولوجية معاصرة لخصت المرحلة التاريخيه ، كما أصبح للعمل الثوري العربي دليل نظري واضح محدد علمي •

وعلى الصعيد السياسي ، دخلت التجربة العربية في صراع جدي مع قوى الصهيونية العالمية ومع الاستعمار في شكليه القديم والحديث ، ومع قوى الرجعية والتخلف •

وتلاحقت المعارك والانتصارات ، وأصبح الوطن العربي مسرحا لنضال عربي ثوري موحد يهدد مصير الاحتكارات البترولية والنفوذ الاستعماري في المنطقة ، حتى بلغ المد الثوري أوجه في وحدة ١٩٥٨

بين القطرين العربيين الثوريين : سورية ومصر ، وفي ثورة القطر العراقي في تموز من العام نفسه ، وفي نجاح ثورة الجزائر في الحصول على الاستقلال عام ١٩٦٣ •

وبدل أن تقابل التجربة العربية الثورة هذا المخطط مرحلة جديدة استطاعت حلالها قوى الاستعمار والرجعية التي وحدتها غريزة الدفاع عن البقاء والمصالح والامتيازات ، أن تتابع بنجاح عملية وقف المد الثوري بل وتحويله الى جزر مخيف ، بدأت الازمات والانقسامات داخل الوحدة فصدعتها ، وكان الانفصال • ثم داخل ثورة العراق فحرفتها عن طريقها العربي الثوري • وداخل الثورة الجزائرية نفسها •

وبدل ان تقابل التجربة العربية الثورية هذا المخطط الاجرائي الذي استغل نقاط الضعف المميتة داخل الحركة العربية ، بجهود وبوعي وبتخطيط علمي في مستوى وقف الهجوم الاستعماري ـ الرجعي ، وتحويله الى تراجع وانحسار • بدل ذلك كله ، دخلت الحركة العربية الثورية في موجة ردود الفعل والانقسامات والمزاودات ، الامر الذي أدى على صعيدي العمل الفكري والسياسي الى تراجع وتفسخ ، لم تتمكن الحركة العربية أن تتخلص من آثاره في محاولات التصحيح التي رافقت قيام ثورتي شباط وآذار في كل من العراق وسورية عام ١٩٦٣ • لذلك استمرت الحركة العربية الثورية في ترديها وفي انقسامها وتجزئها وتناحرها ، واستطاعت القوى اليمينية في الوطن العربي أن تستغل هذا الصراع داخل القوى الثورية ، حتى ضاعت معالم المعركة وانحرفت عن أهدافها

الحقيقية ، وأعطت لأعداء الوحدة والحرية والاشتراكية الفرصة الذهبية لتحويل ثورات اليمن وسورية والعراق الى سلسلة من النكسات •

واليوم تقف التجربة العربية أمام هذه الدروس والعبر وأمام الاخطاء المميتة التي تتلخص في فقدان الستراتيجية الواحدة أولا ، وفي التمادي في منطق ردود الفعل بدل النقد الذاتي واعادة النظر في الاساليب المدمرة لكل عمل ثوري ، أخيرا في احلال منطق السلطة ومنطق القوى محل منطق العمل التاريخي الشعبي الذي ينطلق من وحدة القوى الثورية مهما اختلفت ، ومن توحيد منطقها واسلوبها في العمل القومي •

ان الدرس الكبير الذي يمكن أن تستخلصه التجربة العربية من أخطاء الماضي في هذه المرحلة هو قيام الجبهة الشعبية التي تشكل النواة الصلبة التي تتحطم حولها محاولات الرجعية والاستعمار في هذه المرحلة التي تمتد فيها الموجة الاستعمارية ـ الرجعية على العالم الثالث وعلى العالم بأسره ، وتستهدف بالدرجة الاولى القضيةالعربية والقضاء على فكرتها وعلى القوى الحقيقية التي تمثلها •

ان طرح شعار الجبهة الشعبية بات مطلب قوميا قاهرا ملحا تفرضه دروس التجربة العربية • وهذا الشعار يعني أول مايعنيه العودة الى منطق العمل التاريخي الشعبي الذي كان يهيمن بشكل عفوي على الحركة العربية خلال صعودها ، والذي يكمن فيه سر نجاح العمل العربي •

ان منطق العمل التاريخي يحتاج اليوم الى اكثر من وسيلة عفوية للتعبير عن نفسه • انه بحاجة الى استراتيجية كاملة • وقد علمتنا التجربة العربية خلال هذه السنوات الماضية ان وضع هذه الستراتيجية العربية الثورية الكاملة لايمكن ان يأخذ شكله الجدي السليم الا اذا انبثق عن ارادة عربية ثورية موحدة • والجبهة الشعبية تحتل اليوم مكان الصيغة العملية الوحيدة للتعبير عن هذه الارادة •

لذلك فان الجبهة الشعبية تتطلب في هذه المرحلة اسسا وشروطا تعصمها من المنزلقات ومن التناقضات ومن احتمالات الفشل • فهي لايجوز ان تكون مجرد صيغة سياسية تجمع المتناقضات حول اهداف مرحلية قصيرة الامد • بل يجب ان تكون قاعدة ثابتة للنضال العربي •

ان اولى الاسس التي يجب ان تنطلق منها الجبهة الشعبية هي الايديولوجية العربية الثورية التي تحتاج اليوم الى أكثر من مجرد الالتقاء حول شعارات عامة واسعة كشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية • لانها تتطلب وضع خطط عملية لتحقيق هذه الاهداف في هذه المرحلة بالذات • وبتعبير اخر انها تحتاج الى نقل الفكرة الى صعيد العمل السياسي بشكل عملي وعلمي دقيقين • فالوحدة تحتاج الى استراتيجية مفصلة للعمل الوحدوي والاشتراكية تحتاج الى تخطيط للتحويل الاشتراكي على نطاق عربي ، والحرية

تحتاج الى اسس عملية في ممارسة الديموقراطية داخل الجبهة الشعبية وعلى مستوى الحكم وعلى الصعيد الشعبي • وهذا يعني توحيد الفكر والاسلوب في عمل كافة المنظمات الثورية في هذه المرحلة وعدم الفصل بين النضال الفكري وبين الممارسة الثورية العملية • وهذا التوحيد لا يمكن ان يتم بدون شعور عميق بالمسوءولية التاريخيه وبدون مستوى اخلاقي في العمل السياسي يترفع عن المناورات والموءامرات والمغامرات ، ويلتزم التحليل العلمي للواقع السياسي ويبتعد عن اسلوب التهويش الغوغائي •

ان الصفة الثورية تشكل ايضا شرطا اساسيا من شروط قيام الجبهة الشعبية وعملها • فهي لابد ان تكون بالدرجة الاولى تقدمية ويسارية تلتزم مصلحة الجماهير الكادحة في الوطن العربي دون ان تغفل عن الشروط العملية والعلمية التي تحيط بالتجربة العربيه في المرحلة الراهنة •

وهي من جهة اخرى لابد ان تستهدف بعث روح الثورة في الوطن العربي عن طريق تعميق معنى الثورة وتخليصها من الاندفاعات الانفصالية والمغامرات الطوباوية ، وربط الثورة بقطبيها الطبيعيين : الروح العلمية والروح الاخلاقية •

ان مفهوم الجبهة الشعبية كما تمليه الظروف الراهنة للامة العربية يتطلب الحد الادنى من الجرأة الثورية ، من النقد الذاتي ، ومن الاستعداد لتجاوز ردود الفعل والانفعالات العاطفية وضيق الافق والانانية •

ان مفهوم الجبهة الشعبية يتطلب الاخلاص للفكرة العربية والارتفاع الى مستوى ثوريتها ويساريتها واخلاقيتها •

انه يحتاج الى استلهام روح الجماهير الشعبية ، والى وعي كامل للمنزلقات التي ابعدت الحركات الثورية في الوطن العربي عن هذه الروح •

انه يستلزم اخيرا ان يتحول من شعار على الورق الى محرك نضالي تقع مسوءوليته المبادهة فيه على كافة لمناضلين الثوريين العرب•

الاحرار ٣٠ نيسان ١٩٦٦

الطابع اليساري للعمل الجبهوي

اذا كانت الجبهة الشعبية مطلبا قوميا قاهرا ملحا ، في هذه المرحلة التي تواجه فيها الحركة الثورية العربية قدرا قاسيا ومحنة كبيرة ، وكان مفهوم الجبهة الشعبية مفهوما ينطلق من منطق العمل الجماهيري التاريخي لا من منطق السلطة الموقي ، فان الصفة الاساسية التي يجب أن تميزها هي كونها جبهة قومية يسارية تضم كافة العاملين تحت لواء الايديولوجية الثورية العربية •

لقد حققت هذه الايديولوجية العربية الثورية تقدما على كافة النظريات الثورية لا لانها نبعت من أرض المعركة العربية فحسب بل لانها تجاوبت بعمق وصدق مع السياق التاريخي العالمي المعاصر • فكانت يساريتها وعلميتها وثوريتها صفات نابعة من ذاتها وليست لاصقة بها لصوقا خارجيا مصطنعا انتهازيا •

وقد حققت هذه اليسارية لأول مرة في التاريخ الصلة الجدية بين القومية اليسارية والاممية اليسارية ، وكان اكتشافها البكر الرئيسي هو يسارية الوحدة العربية .

لذلك فان يسارية الجبهة القومية الشعبية سلاح فكري وعملي في وجه نوعين من الانحراف : الرجعية اليمينية واليسارية الانفصالية القطرية الزائفة .

فبمقدار ما تكون يسارية الجبهة القومية الشعبية مستمدة من يسارية الايديولوجية العربية الثورية ، بمقدار ما تكون هذه الجبهة صيغة سليمة للنضال القومي الاشتراكي في هذه المرحلة ، وقادرة على التميز وعلى التعبير الاصيل عن حاجات المرحلة ، وعلى تطوير العمل الثورى العربي في خط تقدمي بعيد عن كل انحراف .

ان الرجعية اليمينية تحاول اليوم أن تتستر وراء الفكرة القومية لكي تعزل الصراع القومي عن الصراع الطبقي . ولكي تحيط العمل القومي الوحدوي بمسحة يمينية تعزله عن طابعه الثوري الاشتراكي .

ان هذه المحاوله ليست جديدة ، فقد كانت الرجعية اليمينية تلجأ دوما الى هذا المنطق لكي تحافظ على سمعتها وعلى مصالحها في آن واحد . واخطار هذا المنطق باتت مكشوفة معروفة ، كما ان المناعة ضد هذا التيار بلغت حدا يحول دون تقدمه ونجاحه في تشويه العمل القومي الوحدوي .

الا ان الخطر يكمن اليوم في محاولات اليسارية القطرية التي تقوم بجهد معاكس لفصل النضال الاشتراكي عن اطاره القومي ، وعزل الصراع الطبقي عن الصراع القومي الشامل .

ان هذا المنطق اليسارى الزائف يفقد العمل العربي سر نميره

ونجاحه ويشوه المبادئ، الاساسية التي انطلق منها وعبر بها عن تجاوبه العميق مع المرحلة التاريخيةالتي تمر بها الامة العربيةوتجارب التحرر في العالم الثالث بوجه عام ، ومع الخط التاريخي لسير الانسانية في العالم الراهن •

ان هذه اليسارية القطرية تحاول اليوم كما حاولت في الماضي ان تثبت مفاهيم خارجة عن الايديولوجية الثورية العربية ، بل ومعادية لها • لقد حاولت في الماضي ان تحرف ثورة تموز في العراق عن خطها الوحدوي ، وحاولت ان تفلسف الانفصال في سورية وان تبرره وان تستبدل بالايديولوجية العربية الثورية ايديولوجية قطرية ذات لون يساري •

وهي تكرر المحاولة اليوم بعد حركة ٢٣ شباط وتفضح نفسها رغم كل الاقنعة • وستتكرر هذه الظاهرة عبر النضال العربي في أقطار عربية أخرى • غير أنها ستفشل جميعها لانها تعتمد على يسارية كسيحة لا تطرح مشكلة الجماهير العربية الحقيقية ، بل مشكلة عزل الجماهير العربية عن خط سيرها اليساري الصحيح • وهي تجرم في حق هذه الجماهير عندما تخدعها بنضال مشوه مستأصل الجذور يجعل من القضية العربية لعبة في يد السياسة الدولية ، لا قضية مالكة لذاتها مسيطرة على مقدراتها ومصيرها •

ان الصراع مع الاستعمار والصهيونية والتجزئة ، هذا الصراع القومي هو نقطة الانطلاق في الحركة الثورية العربية ، والعمل الوحدوي هو التعبير الكامل عن هذا الصراع ويساريته تبدأ من هنا ، من كونه نضالا للتحرر يصارع أقوى القوى الاستعمارية والرجعية والرأسمالية التي تتحكم في عالمنا المعاصر •

لذلك فان النضال الوحدوي ينطوي على النضال المشترك في وجه الاستعمار وفي وجه الرأسمالية العالمية • ويساريته لا يمكن أن

تتجزأ وكل محاولة للتركيز على وجه واحد من أوجه هذا النضال انحراف بهذه اليسارية عن أفقها الطبيعي ، وهي بالتالي يسارية زائفة مصطنعة تهدم العمل الوحدوي الذي هو عمل ثوري ، بل ينبوع لكل ثورية •

فكل منطلق اذن يخرج عن اطار العمل الوحدوي منطلق يميني مهما ادعى من يسارية وثورية • وكل تجربة عربية تعتبر العمل الوحدوي امتدادا للنضال الاشتراكي وظلا للانجازات الاشتراكية داخل القطر ، انما هي تجربة غريبة عن الايديولوجية العربية الثورية ولا مكان لها في الجبهة القومية الشعبية •

ان سر الضعف وسر النكسات التي مرت بها التجربة العربية الثورية يكمن في الانكماش القطري الذي قفز من فوق النضال الوحدوي اما بتجاهله والانتقاص منه وأما باستغلاله وتشويهه •

كما أن زورق النجاة للقوى الثورية العربية ، في هذه المرحلة العصبة الذي يمكنها من النهوض من عثارها ومن التخبط في أزماتها ، انما هو العمل الوحدوى أي النضال المشترك ضد الاستعمار وضد الرأسمالية والاستغلال الطبقي ، على مستوى الوطن العربي الكبير ، أي بالخروج من مواقعها القطرية ومن منطق اليسار المزيف ومن منطق اليمين الرجعي • وهذا لا يكون الا عن طريق الجبهة القومية الشعبية التي تمثل اليسار الصحيح •

الاحرار ٧ أيار ١٩٦٦

الطابع الوحدوي للعمل الجبهوي

لا يكفي أن تكون وحدة الجبهة القومية الشعبية جوابا على وحدة القوى اليمينية في هذه المرحلة من حياة الامة العربية ، لان مجرد رد الفعل على الهجوم الرجعي ، يبقي العمل القومي الثوري في حدود العمل السياسي التقليدي • وفي منطق العمل السياسي التقليدي تكون القوى المادية الراهنة هي الاساس في تقدير موازين النجاح والتفوق • وعندئذ يحتل التناقض الداخلي المكان الاول وتعطي للرجعية فرص ثمينة لضرب القوى الثورية في الوطن العربي •

ثم أن مجرد رد الفعل على التحالفات داخل جبهة اليمن لا يسمح باعطاء معركة النضال القومي ملامحها الصحيحة • ويترك المجال لليسار المزيف ان يشوه المعركة بطابعه القطري الانهازي • كما لا يساعد على تحويل التحالفات داخل الجبهة القومية الشعبية الى وحدة تتجاوز كل التناقضات دون ان تكتفي بتجريدها • وأخيرا فان منطق رد الفعل قد يبقي على الرواسب القديمة وعلى الاخطاء وعلى الاساليب التي كانت وراء التناقضات التي باعدت بين القوى الثورية العربية في الماضي ، ودفعت ببعضها الى تحالفات مع القوى اليمينية

لتضرب قوى ثورية كان من المفروض أن تكون الى جانبها مهما اتسع التناقض •

ان وحدة الجبهة الشعبية لا يجوز اذن ان تكون موقفا ، بل هي عمل هجومي يستهدف توحيد قوى الامة لمجابهة اعدائها المتمثلين بالصهيونية العالمية وبالاستعمار ، لاظلالهما في الداخل فحسب •

فمعيار وحدة الجبهة القومية الشعبية هو قدرتها على توحيد قوى الثورة في الوطن العربي ، وصهر تناقضاتها وتجاوزها الى وحدة نامية تكون تعبيرا عمليا عن وحدة القيادات الثورية مع الجماهير العربية الكادحة •

ان مثل هذه الوحدة لا يمكن ان تولد الا في ظل العمل التاريخي الشعبي أي داخل جو المعارك الكبرى التي تدخل فيها الامه في صراع جدي وعميق مع اعدائها ومع نفسها • فلهيب المعارك هو الذي يوحد قوى الامة الثورية ، ويذيب الانانيات ويسمو بالنوازع ويرتفع بالمصالح الجزئية الخاصة الى مستوى الالتقاء بمصلحة الامة ككل • وعندئذ تتوفر للامة شروط النجاح في التغلب على التناقضين الرئيسيين اللذين يحولان دونها ودون تحقيق اهدافها •

١ ـ التناقض الخارجي ، الذي يضعها وجها لوجه امام تحديات الاستعمار والصهيونية العالمية والرأسمالية العالمية ، والذي يبعدها عن الالتحام بقوى التحرر والثورة في العالم •

٢ ـ التناقض الداخلي ، الذي يتجلى في صراع قوى الثورة مع القوى الرجعية والاقطاعية والرأسماليه التي تعيش على هامش حياة الامة ، والذي يحول دونها ودون القضاء على التخلف وعلى الاستغلال الطبقي •

في وحدة ١٩٥٨ ، التقت قوى الامة العربية على صعيد العمل التاريخي الشعبي ، فكانت فكرة الوحدة بجلالها تخيم على الجميع : لان وحدة النضال العربي خلال معارك الامة العربية ككل مع الاحلاف الاستعمارية ومع النفوذ الغربي ، جعلت جو العمل التاريخي يهيمن على الوطن العربي ، ويصهر القوى الثورية في بوتقة واحدة ، ويوحد فكرها واسلوبها في مواجهة حلف الدفاع عن الشرق الاوسط، وحلف بغداد ، ومبدأ ايزنهاور ، ويجعل من ثورة الجزائر ثورة العرب من المحيط الى الخليج ، ومن تأميم القناة ومن كسر احتكار السلاح ومن مواجهة العدوان الثلاثي ، سلسله معارك عربية خاضتها الامة العربية ككل لذلك بدت وحدة ١٩٥٨ وحدة العرب جميعهم لا وحدة بين قطرين عربيين •

وعندما تقلصت الوحدة الى وحدة قطرين ، وهبط العمل التاريخي الشعبي الى مستوى العمل السياسي التقليدي ، واصبحت فكرة الوحدة وسيلة في يد الدولة الوحدوية الجديدة ولم تعد اداة من ادوات الفكرة : بدأ التصدع داخل القوى الثورية العربية ، واحتل التناقض الداخلي المكان الاول ، وانحسر التناقض الخارجي الى المرتبة الثانية ، فكسب الاستعمار والصهيونية الجولة ، واستطاعا أن يمزقا الوحدة ، لا على صعيد انفصال القطرين فحسب ، بل على صعيد انحراف العمل الوحدوي عن خط العمل التاريخي الشعبي في الوطن العربي ككل •

تمزقت القوى الوحدوية ، وانحرفت ثورة تموز في العراق ووقع الانفصال بين سورية ومصر ، وبدأت النزعات القطرية تعود

الى الظهور متلبسة ثوبا يساريا زائفا معاديا لفكرة الوحدة • وفشلت الجهود التي بذلت بعد قيام ثورة اليمن وثورتي شباط وآذار في العراق وسورية ، للعودة بالعمل الوحدوي الى خط العمل التاريخي، لان هذه الجهود انطلقت من منطق القوى المتصارعة المشككة ، أي من منطق العمل السياسي التقليدي •

ان نكسة الوحدة والنضال الوحدوي لا تنحصر اذن في نكسة الانفصال ، لان هذه النكسة واحدة من نكسات سبقتها وتلتها • كما ان معيار العمل الوحدوي ليس في العودة الى الصيغ القديمة التي شهدت مأساة الصراع بين القوى الثورية الوحدوية لان هذه العودة التي تقفز من فوق اسباب التصدع دون ان تلغي هذه الاسباب ، لا يمكن أن تحمي الثورة العربية من نكسات جديدة ، ولا تستطيع أن تعيد للقوى الوحدوية وحدتها •

ان المعيار الصحيح للعمل الوحدوي هو العودة الى أفق العمل التاريخي الشعبي الذي سبق وحدة ١٩٥٨ ومهد لها ، ورفعها الى مستوى التعبير عن وحدة الامة العربية •

لقد شهدت احداث كثيرة في الوطن العربي وما تزال ، صورة لهذا التمزق بين القوى الثورية الوحدوية ، الذي أخذ شكل تنافس سلبي في اعنف مظاهره ، وشكل صراع وعداء في أقسى هذه الاشكال • وسوف تستمر عملية التفتيت لقوى الثورة العربية ما لم تنطلق من عقلية جديدة ومن نفسية جديدة ومن اسلوب جديد •

ان وحدة الجبهة الشعبية لا يمكن أن تأخذ شكلها الصحيح الا اذا تجاوزت القوى التي تمثلها مرحلة ردود الفعل ، وانطلقت

من ميثاق قومي يحدد الاهداف والاساليب والخطط ، لتوحيد العمل العربي في كافة أرجاء الوطن العربي ، والنهوض بالحركة الثورية العربية من كبوتها ، وحمايتها من المنزلقات والنكسات •

فلتتجمع الجهود لوضع هذا الميثاق القومي ، ليكون دليلا للعمل العربي الثوري ودستورا للجبهة القومية الشعبية •

ولترتفع النفوس الى مستوى العمل التاريخي الشعبي حتى لا يبقى هذا الميثاق على الورق •

ولتنصهر قوى الثورة العربية مع قوى الجماهير العربية الكادحة في معركة الكفاح التي توحد فيها الدماء العقول والقلوب ، وترسم الطريق الصحيح الى بعث الامة العربية •

ولتكن أولى هذه المعارك مع الحلف الاسلامي الذي دخل مرحلة الخطر الجدي على القضية العربية ، والذي يمثل تحالف القوى الرجعية في الوطن العربي ويهدف الى تنفيذ مخطط السياسة الاميركية الهادف الى تصفية القوى الثورية العربية ، وتصفية القضية الفلسطينية •

الاحرار ١٤ ايار ١٩٦٦

منطق السياسة العربية الثورية

عندما طرحنا فكرة الجبهة القومية الشعبية كصيغة عملية تلبي حاجات النضال العربي في هذه المرحلة ، انطلقنا من بعض الاسس التي ينبغي أن يبنى عليها منطق السياسة العربية الثورية •

١ ـ ان السياسة العربية لا تكون حقا (عربية) ، الا اذا تجاوزت المنطق القطري والتحمت التحاما عضويا بالمفهوم القومي ، أي كانت تعبيرا عمليا عن الايديولوجية العربية الثورية التي حددت أهداف الامة العربية .

٢ ـ وانها لا تكون حقا (ثورية) ، الا اذا انطلقت من مفهوم الثورة العربية التي تستهدف تحقيق الوحدة العربية والتحرر من النفوذ الاستعماري وتحقيق النظام الاشتراكي في الوطن العربي .

٣ ـ وان منطق السياسة العربية الثورية لا ينفصل عن الممارسة العملية القائمة على الأسلوب المنسجم مع الاهداف .

فالنضال الشعبي التاريخي هو القاعدة التي يجب ان تنطلق منها السياسة العربية الثورية خلال صراعها مع الامبريالية والصهيونية العالمية والرجعية العميلة والتخلف والاستغلال الطبقي .

فالذين يهبطون بالعمل العربي الثوري الى مستوى العمل القطري الثوري ، ويرون في العمل العربي تجميعا للجهود القطرية ، لا يمارسون سياسة عربية ثورية ، لانهم ينطلقون من التجزئة ويكتفون من العمل الوحدوي بتلاقي التجارب القطرية ، ومن العمل الثوري بتلاقي الانظمة الثورية .

هكذا ينزلق مثل هذا المنطق الى اعتبار التجزئة مسلمة حقيقية لا ظاهرة شاذة غير طبيعية يجب ان يبدأ العمل العربي بالقضاء على منطقها حتى يتوصل الى القضاء على كيانها . كما ينزلق الى فك التلازم بين مفهومي الوحدة والتحرر من الاستعمار ، والى تجاهل السياق التاريخي للقضية العربية وللعالم الراهن ، والى جعل هدف الوحدة يأتي في المرتبة الثانية بعد هدفي الحرية والاشتراكية .

كما ان الذين يقفزون من فوق العمل العربي الثـوري ، يتصورون ان السياسة العربية لا تكون ثورية الا اذا ارتبطت بمخطط دولي ، والحقت الحاقا تبعيا بسياسة عالمية ثورية ، وهم في هـذا المنطق يقعون اسرى نظرة أممية متخلفة عن واقع الحياة الدوليـة المعاصرة ، وعن واقع القوى الثورية العالمية •

فالسياسة العربية الثورية لا يجوز أن تكون ظلا للسياسـة الدولية ، بل يجب ان تساهم مساهمة ايجابية فعالة وحرة في تصحيح صورة العالم وخارطته السياسية الراهنة •

ان واجب السياسة العربية الثورية على الصعيد الدولي ان تعمل على توحيد القوى الثورية العالمية التي برز اختلافها على شكل علني• وان لا تكتف بمجرد الارتباط بها أو بقسم منها ارتباطا آليا يجعلها مظهرا من مظاهر التناقض العالمي ، بدل أن تكون عاملا من عوامل ازالة هذا التناقض •

ان السياسة العربية الثورية لن تكون (عربية) ولن تكـون (ثورية) اذا لم تنطلق من منطق الايديولوجيه العربية الثورية القائم على مفهوم قومي يساري ذي افق أممي يساري يستلهم بعث الامة العربية وتغيير صورة العالم الراهن داخل اطار صيغـة حضارية انسانية سليمة •

ففي منطق السياسة العربية الثورية تكون اهداف الامة العربية متلازمة ومتكافئة في قيمتها ، ويكون الترابط الجدلي بين الوحـدة والحرية والاشتراكية اساس كل استراتيجية مرحلية أو تكتيـك ثـوري •

ان توفير هذا الاساس ، والنتائج التي تبنى عليها ، بات امرا

هاما وخطيرا في هذه المرحلة التى تطرح فيها فكرة الجبهة القومية الشعبية • لان هذا التوضيح يبعدنا عن المعالجات التى تحمل اثار أخطاء الماضى والتى تقوم على منطلقات خاطئة لا تضمن تصحيح آثار هذه الاخطاء ، والتي بقي وحدة القوى الثورية مجالا لتنافس وصراع سلبي ، كما تجعل لقاء هذه القوى الثورية العربية مع القوى الثورية العالمية لقاء موقتا وواهي الاساس •

لنصعد الى اصول المنطقين :: (القطري) ، الذي تزعزع ايمانه بالوحدة ، و(الدولي) الذي لم ينطلق من الايمان بها • فكلا المنطقين يسلك بالسياسة العربية الثورية مسلك رد الفعل على التجربة الوحدوية السابقة التي تمت عام ١٩٥٨ • فقد حصل في تجربة وحدة ١٩٥٨ نوعان من الانقسام اديا الى تعثرها :

١ ـ افتراق القوتين الثوريتين اللتين ساهمتا في صنع الوحدة ، وكلاهما يتحمل مسئولية هذا الانقسام •

٢ ـ الانقسام بين القوى القومية الثوريه وبين القوى العالمية الثورية المتمثلة في الاحزاب الشيوعية وفي المعسكر الاشتراكي ، الذي ظهر في بداية الوحدة ، وأخذ شكله الحاد بعد ثورة تموز في العراق زمن عبدالكريم قاسم •

واستمر هذان النوعان من الانقسام الى أن استغلته قوى الرجعية والاستعمار لكي يمزق الوحدة ، فكان من جراء هذا الانقسام ان ظهرت ردود فعل انعكست على فكرة الوحدة وعلى الاتجاه الوحدوى ، وبدل ان تعالج اسباب هذه الانقسامات والخلافات وتعطي حقها من الدرس والتحليل • سيطر منطق الانفعالات الذي أدى الى تعميقها وتفاقمها على حساب مصلحة الثورة العربية ومصلحة القوى الثورية العالمية في آن واحد •

تمثلت ردود الفعل السلبية أولا في ظهور الجناح القطري في حزب البعث الذى يمثل الجناح المغتصب حاليا في القطر السورى بعد انقلاب ٢٣ شباط •

تمرد هذا الجناح على موقف القيادة القومية التي لم تستسلم لرد الفعل ولم تتراجع عن الخط الوحدوي بعد وقوع الانفصال ، وراحت تطالب بتجديد الوحدة على أسس تتجنب أخطاء الماضي ، ولم تنفعل بالحملات الاذاعية وبقيت تطالب بلقاء الثورات وخاصه مع الجمهورية العربية المتحدة بعد ثورتي رمضان واذار • كما لم تنفعل بمواقف الاحزاب الشيوعية العربية وبقيت تحارب أية نزعة معادية للشيوعية •

فكان هذا الجناح القطري يطرح المعركة على شكل ثأر وانتقام ، ويعتبر الرئيس جمال عبدالناصر ونظامه العدو الاول للثورة العربية واستمر هذا المنطق القطرى حتى بعد انتهاء الانفصال وتسلل الفئة القطرية الى داخل ثورة اذار •

على ضوء هذا التحليل تنكشف المعالجات الخاطئة التي يمكن أن تعطي للجهة القومية الشعبية صورة ممسوخة مشوهة •

فانتقال القطريين الحاكمين في سورية من اعتبار عبدالناصر قوة معادية للثورة الى اعتباره أقوى قوة ثورية في الوطن العربي ، ومن اعتبارهم الشيوعية عدوهم الاول الى اعتبارها حليفهم الرئيسي ، ان هذه الانتقالات المفاجئة ، والانعطافات المسرحية غير المنطقية وغير المنسجمة مع ماضي هذه الفئة القطرية ومع حقيقة نواياها ومع طبيعة القوى التي تستند اليها ، انما تتم على حساب منطق السياسة العربية الثورية ، وعلى حساب المنطق الوحدوى ، وعلى حساب وحدة حزب البعث القومية •

ان مثل هذا الحكم يجب أن يعزل عن صف القوى الوحدوية الثورية ، لانه لا وحدوي ولا ثوري • وما ادعاؤه لاتجاهات مناقضة لحقيقته الا وسيلة انتهازية لتثبيت اركانه المتداعية ، حتى يستمر في تخريب العمل الوحدوي الثوري •

فالقطريون في سورية لم يلجأوا الى نقد ذاتي يبرر تعاونهم مع القوى القومية الثورية أو مع القوى العالميه الثورية •

ان شعار وحدة القوى الثورية شعار صحيح سليم ، اذا بقي جزءا من مفهوم الجبهة القومية الشعبية الذي يعتبر العمل النضالي الشعبي قاعدة العمل السياسي الفوقي ، ويجعل العمل الوحدوي الثوري اساسا لكل سياسة قطرية ، وينظر الى قيم الثورة العربية كأساس لتحديد اسلوب العمل العربي الموحد ، فلا يكون هناك التباس في تحديد القوى الثورية •

وتجسيد هذا الشعار في اشكال تنظيمية قوية كفيلة بازالة التناقضات بين القوى الثورية القومية والعالمية ، لا يتم بمجرد عقد المؤتمرات للقيادات ذات السلطة الثورية ، بل يجعل هذه المؤتمرات ثمرة لنضال شعبي تقوده المنظمات الثورية العربية الشعبية وتلتزم بـه الحكومات •

ان ما ينقص القوى الثورية لكي تتحرر من تناقضاتها وردود افعالها ، ليست المؤتمرات التي تعقد في ظل الشكوك والحسابات الكمية للقوى ، بل ان ما ينقصها هو ذلك الجو النضالي التاريخي : جو المعارك الجدية التي ترفع القوى جميعها الى مستوى التعبير عن مصلحة الامة ككل •

لقد عرفت الامة العربية مثل هذا الجو خلال المرحلة التي مهدت لقيام وحدة ١٩٥٨ • الا أنه كان جوا عفويا لم يتمكن من ضبط تجربة الوحدة ومنع انقسام القوى الثورية في داخلها •

واليوم ، تجد القوى العربية الثورية نفسها امام امتحان جديد ، فالشعب العربي سيحملها اسباب كل نكساته اذا لم تعد الى جو العمل التاريخي عودة تستفيد من تجارب الماضي •

فالانطلاق من انقسام القوى الثورية لابد ان يوقعها في التناقض من جديد ولا بد ان يبعدها عن منطق السياسة العربية الثورية •

المنطق الصحيح هو ان تنطلق هذه القوى الثورية القومية والعالمية ، من نقد ذاتي تراجع فيه موقفها من بعضها • أي أن تنطلق من ارادة التوحيد لا من ارادة التنافس السلبي • وعندئذ يكون لقاء القوى العربية الثورية لقاء جديا يضعها في صف واحد موحد ضد اعدائها المكشوفين والمقنعين • ويكون لقاء هذه القوى العربية الثورية مع القوى الثورية العالمية لقاء صميميا يساعد على كسب صداقتها وعلى تصحيح موقف الاحزاب الشيوعية من الوحدة العربية •

وعندما نبدأ من الشعب العربي ومن توحيد قواه في ساحات النضال ، أي من الاساس الاول الذي تبنى عليه السياسة العربية الثورية ، وعندما يكون هذا الاساس هو منطلقنا لتوحيد القوى الثورية الشعبية ، وتوحيد الانظمة العربية الثورية والالتقاء الحر الايجابي بجميع القوى الثورية العالمية للعمل على توحيدها ، عندئذ تكون خطواتنا ثابتة تسير في الخط التاريخي للامة العربية والعالم المعاصر ، ويكون منطقنا في معالجة الجبهة القومية الشعبية صحيحا • اما أن نبدأ بالسياسة الدولية وبالانظمة القطرية لكي ننتهي الى الشعب العربي • فهذا منطق آخر لا علاقة له بمنطق السياسة العربية الثورية •

الاحرار ٢١-٥-١٩٦٦

استراتيجية المرحلية

عندما تناولنا بالتحليل منطق السياسة العربية الثورية ، وكتبنا في مقالات سابقة عن ضرورة الجبهة الشعبية وعن وحدتها وعن يساريتها ، لم تكن مشاغل المرحلة الراهنة والاعتبارات الظرفية التي تحيط بالعمل العربي اليوم – على أهميتها – ، هي التي تستأثر وحدها باهتمامنا .

كانت تجربة السنوات العشر الاخيرة بما تنطوي عليه من دروس وعبر ، هي التي تقودنا الى تحديد الاسس والمبادىء العامة للعمل العربي الثوري في هذه المرحلة ، حتى لا يضيع الجهد الثوري ، وتتحول الثورة العربية الى سلسلة من التجارب المثبطة للهمم .

ولم نقصد في هذه المحاولة ، ان تكون المبادىء التي انطلقنا منها مجرد نصائح اخلاقية شبيهة بالمواعظ ، كما يحلو للبعض أن يتصورها ، كما لم نقصد أيضا أن نغطي بواسطتها موقفا اردنا ان نحيطه بالغموض وتركناه لحكمة المفسرين . بل كنا أمناء على الصورة السليمة التي يجب أن يرتفع اليها النضال العربي بعد تعثر

وتقهقر وتمزق داخلي وضع قوى الثورة العربية جميعهـــا دون استثناء على هامش العمل التأريخي الشعبي •

فالذين راحوا يبنون على منطقنا نتائج لا تتفق والمقدمات التي انطلق منها ، ويستنبطون من المبادىء العامة التي قرناها ملامـــح استراتيجية مرحلية تتضمن موقفا سلبيا من سياسة نظام ثوري عربي محدد ، قد حملوا هذا المنطق اكثر مما يحتمل ، بل اساءوا اليه ، لانهم أرادوا له أن يبدأ من حيث أراد ان ينتهي : من الانقســام والتناقض ورد الفعل • في حين انه قد انطلق من التأكيد على الوحدة الصميمية العميقة بين القوى العربية الثورية ، وبينها وبين القـــوى العالمية الثورية •

لقد علمتنا التجارب الماضية القريبة والبعيدة ، ان منطـــق الانقسام لا يؤدي الا الى المزيد من التناقض ، وان منطق رد الفعـل هو دوما منطق النكسات ، لذلك قررنا ان نبتعد عنه ، وان نلغيـــه من حسابنا •

ونحن عندما نبهنا الى خطر المعالجات الخاطئة في موضـــوع الجبهة القومية الشعبية ، لم نعزل انفسنا عنها ، ولم ندع العصمة ، بل طالبنا بان نعود جميعا الى المصدر الكفيل بتصحيح الاخطـــاء جميعها ، الى الشعب العربي • فمن حركته التاريخية ، ومن تحركه الثوري ، ومن وحدته نستلهم أسس التصحيح للتجارب السابقـــة ونبني تجربة جديدة عربية وثورية حقا •

فاذا ربطنا هذا المبدأ العام بالتجربة المباشرة الراهنة وبمسلمات الواقع السياسي للامة العربية في هذا الظرف ، ادركنا ان الجبهـــة

القومية الشعبية هي الصيغة السليمة للعمل العربي الثوري ، لا في هذه المرحلة فحسب ، بل كأساس للنضال العربي الموحد ذي المحتوى الاشتراكي الثوري .

واذا كان الحلف الاسلامي يلخص الاستراتيجية المرحلية للاستعمار والصهيونية والرجعية ، ويتطلب من القوى العربية الثورية ان تتحدد وان تتآزر مع القوى العالمية الثورية لضرب هذا الحلف ومواجهته باستراتيجية عربية ثورية تقدمية موحدة . فان من واجب العرب أن يدركوا ان حلف اعداء الامة العربية لن ينفرط بمجرد القضاء على مخططاته الراهنة ، لان هذا الحلف سيتحول الى وحدة عضوية تقاوم ارادة الانبعاث في الامة العربية وتتآمر عليها كلما ازدادت تصميما وحزما .

ومن هنا يأتي ضعف كل استراتيجية عربية ثورية مرحلية لا تأخذ بعين الاعتبار ضرورة ارساء قواعد صلبة وارضية ثابتة للنضال العربي الثوري وتوفير اجواء تاريخية تكسبه قوى مادية ومعنوية تستطيع ان تقضي لا على الحلف الاسلامي المطروح حاليا فحسب بل على كل المحاولات المقبلة ، وان تحول الدفاع الى هجوم لمصلحة الثورة العربية والثورات التحررية في العالم .

ان الايمان بالقوى التاريخية التي يزخر بها الشعب العربي هو المنطلق الاساسي للتغلب على القوى المادية التي تنطلق من المصلحة ومن الاستغلال والجشع . وبدون هذا الايمان تتقلص الثورة العربية الى عمل سياسي تجميعي لا يساهم مساهمة حضارية في تطوير العالم .

فالدعم الدولي والنشاط السياسي الرسمي قـوى اساسية في معركة الشعب العربي ضد اعدائه ، يجب أن ينضافا الى العمـل الشعبي التاريخي لا أن يكونا بديلا له •

والتقاء القوى العربية الثورية على الحد الادنى من متطلبات المرحلة الراهنة أمر اساسي لا يجوز التفريط به ، لان ما من شيء يجيز الانقسام في هذه المرحلة مهما اختلفت المنطلقات • الا ان هذا الحد الادنى يجب أن يتطور وان ينمو حتى يكون النضال العربي في مستوى دحر خصومه أولا ، وفي مستوى تحقيق أهداف الامة العربية ثانيا •

ان الصورة المثلى للعمل العربي الثوري قد لا يتحقق دفعة واحدة ، الا أنها يجب أن تكون ماثلة دوما في الاذهان ، وان تكون محركا اساسيا من محركات قوى الثورة العربية •

وكل محاولة للتذرع بهذه الصورة المثالية لضرب كل مسعى لتوحيد القوى الثورية لا تتوفر فيه الشروط المثلى ، تكون بدورها محاولة خاطئة وغير واقعية ، لان هذه الصورة المثلى تصح معيارا لنقد المحاولات الخاطئة والمرتجلة وتقويمها لا لتقويضها •

اذن فالروح المصحوبة بحس نقدي وبحوار جريء نزيه وبنقد ذاتي مستمر ، هي المنطلق الاول في رسم الستراتيجية المرحلية للجبهة الشعبية التي يجب أن تكون اساسا لستراتيجية دائمة ذات أفق ثوري صحيح بعيد عن الزيف • وحتى تكون كذلك يجب أن تبدأ :

١ ـ ميثاق قومي تشترك في وضعه المنظمات القومية الشعبية

وتلتزم به كأساس لتوحيد نظرتها وعملها في هذه المرحلة •

٢ ـ بجعل هذا الميثاق اساسا للعمل الشعبي والرسمي في آن واحد ، تلتزم به الحكومات كما تلتزم به المنظمات الشعبية •

٣ ـ بدعوة القوى التقدمية والقوى الثورية العالمية لتعاون مخلص ضمن اطار هذا الميثاق •

٤ ـ بجعل مقاومة الحلف الاسلامي معركة جدية يخوضها الشعب العربي والحكومات المتجاوبة مع مصلحته وارادته لتصفية الرجعية المحلية •

٥ ـ بتوسيع هذه المعركة وتعميقها عن طريق تحويلها الى معركة تحرير شاملة تجعل من القضية الفلسطينية مركز الثقل في الستراتيجية المرحلية •

٦ ـ بالتأكيد على حركة الجماهير الشعبية كمنطلق أساسي في هذه المعركة •

الاحرار ٢٨ ايار ١٩٦٦

